نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا
تولهه رحمة عن عقاب ولا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا
وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد
الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان
السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار
وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا
رقراقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم يدفع ولا معذرة تنفع الشرح اظهر سبحانه من آثار
سلطانه نحو خلق الافلاك ودخول بعضها في بعض كالممثل الذي يشتمل على المائل وفلك التدوير وغيرهما ونحو خلق
الانسان وما يدرك كتب التواريخ من عجيب الحكمة فيه ونحو خلق النبات والمعادن وترتيب العناصر وعلامها
والآثار العلوية المتجددة حسب تجدد اسبابها ما تحير عقول هؤلاء واشعر بانها اذ لم يحط بتفاصيل تلك الحكم مع
انها مصنوعة فالاولى ان لا تحيط بالصانع الذي هو برئ عن المادة وعلائق الحس والمقل جمع مقلة وهي شحمة العين
التي تجمع السواد والبياض ومقلت الشيء نظرت اليه بمقلتي واضاف المقل الى العقول مجازا ومراده البصائر والردع
زجر ودفع وهماهم النفوس افكارها وما يهمهم به عنه التخيل والروية في الامر واصل الهمهمة صوت يسمع ولا يفهم
محصوله والعرفان المعرفة وكنه الشيء نهايته واقصاه والايقان العلم القطعي والاذعان الانقياد والاعلام المنار
والجبال يستدل بهما في الطرقات والمناهج السبل الواضحة والطامسة كالدارسة وصدع بالحق بين واصله
الشق يظهر ما تحته ويقال نصحت لزيد وهو افصح من قولك نصحت زيدا والقصد العدل والعبث ما لا غرض فيه
او ما ليس فيه غرض مثله والهمل الابل بلا راع وقد اهملت الابل ارسلتها سدى قوله علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه
اليكم اي هو عالم بكمية انعامه عليكم علما مفصلا وكل من علم قدر نعمته على غيره كان احرى ان يشتد نقمته عليه
عند عصيانه وجرأته عليه بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير فانه قد لا يشتد غضبه لانه لا يعلم قدر نعمته المكفورة
قوله فاستفتحوه اي اطلبوا منه الفتح عليكم والنصر لكم واستنجحوه اطلبوا منه النجاح والظفر واطلبوا اليه اي
اسألوا يقال طلبت الى زيد كذا وفي كذا واستمنحوه بكسر النون اطلبوا منه المنحة وهي العطية ويروى واستميحوه
بالياء استماح الرجل طلبت عطاءه ومحت الرجل اعطيته ثم ذكر انه لا حجاب يمنع عنه ولا دونه باب يغلق وانه بكل
مكان وموجود في كل حين واوان والمراد بوجوده في كل مكان احاطة علمه وهو معنى قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم وقوله سبحانه وهو معكم اينما كنتم لا يثلمه العطاء بالكسر لا ينقص قدرته والحباء النوال ولا يستنفده
اي لا يفنيه ولا يستقصيه لا يبلغ الجود اقصى مقدوره وان عظم الجود لانه قادر على ما لا نهاية له ولا يلويه شخص عن شخص
لا يوجب ما يفعله بشخص او مع شخص اعراضا وذهولا عن شخص آخر بل هو عالم بالجميع لا يشغله شأن عن شأن لوى الرجل وجهه
اي اعرض وانحرف ومثل هذا اراد بقوله ولا يلهيه صوت عن صوت الهاه كذا اي شغله ولا تحجزه بالضم هبة عن سلب اي لا
يمنعه اي ليس كالقادرين بالقدر مثلنا فان الواجد منا يصرفه اهتمامه بعطية زيد عن سلب مال عمرو حال ما يكون مهتما
بتلك العطية لان اشتغال القلب باحد الامرين يشغله عن الآخر منه هذا قوله ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه
رحمة عن عقاب اي تحدث الرحمة لمستحقها عنده ولها وهو التحير والتردد يصرفه عن عقاب المستحق وذلك لان الواحد
منا اذا رحم انسانا حدث عنده رقة خصوصا اذا ترك منه الرحمة لقوم متعددين فانه يصير الرحمة كالملكة عنده فلا
يطيق تلك الحال ان ينتقم والباري سبحانه بخلاف ذلك لانه ليس بذي مزاج سبحانه قوله ولا تجنه البطون عن الظهور
ولا تقطعه الظهور عن البطون هذه كلها مصادر بطن بطونا اي خفي وظهر ظهورا اي تجلى يقول لا يمنعه خفاؤه عن
العقول ان تدرك عن ظهوره بافعاله لها وان لم يكن ظاهرا بذاته وكذلك لا يقطعه ظهوره بافعاله عن ان يخفى
كنهه عن ابصار العقول وادراكها له ويقال اجننت كذا اي سترته ومنه الجنين والجنة للترس وسمي الجن جنا لاستتارهم

يزداد المعنى تاكيدا فقال قرب فنأى اي قرب فعلا فنأى ذاتا اي افعاله قد تعلم ولكن ذاته لا تعلم ثم قال وعلا فدنا اي
لما علا عن ان تحيط العقول عرفته العقول لا انها عرفت ذاته لكن عرفت انه شئ لا يصح ان يعرف وذلك خاصته
تعالى فان ماهيته يستحيل ان يتصور للعقل لا في الدنيا ولا في الاخرة بخلاف غيره من الممكنات ثم اكد المعنى بعبارة
اخرى فقال وظهر فبطن وبطن فعلن هذا مثل الاول ودان غلب وقهر ولم يدن لم يقهر ولم يغلب ثم قال لم يذرأ
الخلق باحتيال اي لم يخلقهم بحيلة توصل الى ايجادهم بل اوجدهم على حسب علمه بالمصلحة خلقا مخترعا من غير
سبب ولا واسطة قال ولا استعان بهم لكلال اي لاعياء اي لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته في قهر اعدائه وجاحدي
نعمته اليهم وليس بكال ولا عاجز عن اهلاكهم ولكن الحكمة اقتضت ذلك قال سبحانه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض اي لبطل التكليف ثم ذكر ان التقوى قوام الطاعات التي يقوم بها وزمام العبادات وبها تمسك وتحصن
كزمام الناقة المانع لها من الخبط والوثائق جمع وثيقة وهي ما يوثق به وحقائقها جمع حقيقة وهي الراية يقال فلان حامي
الحقيقة قوله يؤول بالجزم لانه جواب الامر اي يرجع والاكنان جمع كن وهو الستر والدعة الراحة والسعة الجدة و
المعاقل جمع معقل وهي الملجأ والحرز الحفظ وتشخص الابصار تبقى مفتوحة لا تطرف والاقطار الجوانب والصرم جمع
صرمة وهي القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق التي عليها من يوم ارسل الفحل فيها عشرة اشهر فزال عنها
اسم المخاض ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع والواحدة عشراء وهذا من قول الله تعالى واذا العشار عطلت اي تركت
سائبة مهملة لا يلتفت اليها اربابها ولا يحلبونها لاشتغالهم بانفسهم وتزهق كل مهجة تهلك وتبكم كل لهجة اي
تخرس رجل ابكم وبكيم والماضي بكم بالكسر والشم الشوامخ الجبال العالية وتذل لها تدكدكها وهي ايضا الصم الرواسخ
فيصير صلدها وهو الصلب الشديد الصلابة سرابا وهو ما يرى في النهار فيظن ماء والرقراق الخفيف ومعهدها
ما كان منزلا منها للناس قاعا ارضا خالية والسملق الصفصف المستوي ليس بعضه ارفع وبعضه احفض الاصل
ومن خطبة له عليه السلام بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم
الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها
العواصف في لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على متون الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها
فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك عباد الله الآن فاعلموا والالسن مطلقة والابدان صحيحة
والاعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل ارهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا
قدومه الشرح يقول بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لما لم يبق علم يهتدي به المكلفون لانه كان زمان
الفترة وتبدل المصلحة واقتضاء وجوب اللطف عليه سبحانه تجديد البعثة ليعرف المبعوث المكلفين الافعال
التي تقربهم من فعل الواجبات العقلية وتبعدهم عن المقبحات العقلية والمنار الساطع المرتفع سطع الصبح سطوعا
ارتفع ودار شخوص دار رحلة شخص عن البلد رحل عنه والظاعن المسافر والقاطن المقيم والبائن البعيد يقول
ساكن الدنيا ليس بساكن على الحقيقة بل هو ظاعن في المعنى وان كان في الصورة ساكنا والمقيم بها مفارق وان ظن
انه مقيم وتميد باهلها تتحرك وتميل والميدان حركة واضطراب وتصفقها العواصف تضربها بشدة ضربا بعد ضرب
والعواصف الرياح القوية واللجج جمع لجة وهي معظم البحر والوبق الهالك وبق الرجل بالفتح يبق وبوقا هلك والموبق المهلك
منه كالموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله تعالى وجعلنا لمهلكهم موعدا وفيه لغة اخرى وبق الرجل يوبق وبقا
وفيه لغة ثالثة وبق الرجل بالكسر يبق ايضا واوبقه الله اي اهلكه وتحفزه الرياح تدفعه ضرب عليه السلام لاهل الدنيا مثلا
براكبي السفينة في البحر وقد مادت بهم فمنهم الهالك على الفور ومنهم من لا يتعجل هلاكه وتحمله الرياح ساعة او ساعات
ثم ماله الى الهلاك ايضا ثم امرهم بالعمل وقت الامكان قبل ان لا يمكن العمل وكنى عن ذلك بقوله والالسن منطلقة
لان المحتضر يعتقل لسانه والابدان صحيحة لان المحتضر سقيم البدن والاعضاء لدنة اي لينة اي قبل الشيخوخة والهرم
ويبس الاعضاء والاعصاب والمنقلب فسيح والمجال عريض اي ايام الشبيبة وفي الوقت والاجل مهلة قبل ان يضيق الوقت

غي لا يعرف

في نسخة منطلقة ابن ابو الحديد

والمنقلب

وجعلنا بينهم موبقا

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)